

أصل العالم عند أرسطو

د. فوزية الطاهر خليفة الفراح / أستاذ مساعد - جامعة الزاوية / كلية الآداب /

قسم الفلسفة

Fouziyah.fr@gmail.com

ملخص البحث:

أرسطو أول من أطلق اسم الفلسفة الأولى على مبحثه في الوجود أو العالم بالإطلاق وقد يقصد بذلك أن يميز بين الفلسفة الأولى والعلم الطبيعي الذي أطلق عليه اسم الفلسفة الثانية لأنها تبحث في العلة الأولى، وسماها بالعلم الإلهي لثبت أن الله هو الموجود الأول والعلة الأولى لوجود العالم.

حاول أن يدرس الموجودات من حيث كونها موجودة لا من حيث اتصافها بصفات أخرى معينة وحاول أن يفسر العالم من الوجود بالقوة، والوجود بالفعل، وإثبات أن الله هو المحرك الأول الذي يسعى إليه ويتوجه نحوه كل موجود بما في ذلك العالم، كان وجوده خارج عن العالم المستقل عن نظامه كله أما تأثيره في العالم فيكون باعتباره موضوع شوق العالم به لأن الله ضرورة العالم، أي المادة الأولية التي نشأ منها الكون.

الكلمات الدلالية: المادة الأولية التي نشأ منها الكون، أرسطو، الفلسفة، الوجود أو العالم بالإطلاق، الموجودات

Abstract:

Aristotle was the first person to name the first philosophy on the subject of its existence or the whole world. He might use this to distinguish the first philosophy from the natural sciences that he called the second philosophy because it is Searching in the first cause and called the sacred science proves that God is the first existence and the first cause of the existence of the world.

He tried to study the existence from the perspective of existence, rather than from the perspective of certain other qualities. He tried to explain the world from the existence of force and the existence of action, and proved that God is the primary engine to be sought by every being, including the world. His existence is out of the independent world of his entire system. As for his influence on the world is considered to be

the object of the learner's eagerness for him, because God is the necessity of the world, and the main substance of the origin of the universe.

المقدمة :

لقد قلب الإغريق إستراتيجية التفكير فيما يتعلق بتفسير العالم، واستبدلوا الكيفية التي يقدم تفسير العالم الذي كان سائداً قبلهم، إن الفلسفة كإستراتيجية جديدة للتفكير في العالم من جهة أصله ونهايته قد أزلت الأسطورة بوصفها إستراتيجية للتفكير تقوم على الخيال مستبدلة إياها بالعقل، وهذا ما سنجد عند الإغريق، ويمكن القول إن الفلسفة قد أحدثت تحولاً جذرياً في الطريقة التي يقوم بها العالم، وتحولت من النظرة الأسطورية إلى العالم إلى النظرة العقلية له، فهي التي أعلنت عن ولادة الفكر العقلي وأصلته محل الفكر الأسطوري فبحثوا، وتأملوا الوجود بفكر عميق بغية الوصول إلى المبدأ الأول الذي يتشكل منه وهذا العالم.

بالرغم من تعدد الموجودات التي تشكله، فظاهرة التعدد والتغير التي غالباً ما تكتسي الكائنات الحية والموجودات التي تشكل، الوجود والعالم الطبيعي، لم تكن لتقنع الفلاسفة الإغريق، فحاولوا تجاوزها برد العالم إلى أصل واحد، تنطوي تحته جميع الموجودات لذا يعرف الوجود أو العالم بأنه العالم الموضوعي، أي المادة التي توجد مستقلة عن الوعي والتي تسمى باليونانية هيولي، أي المادة الأولية التي نشأ منها الكون، حيث كان الوجود يعنى العالم المادي أو الطبيعي.

ويعد أرسطو أول من أطلق اسم الفلسفة الأولى على مبحثه في الوجود أو العالم بالإطلاق وقد يقصد بذلك أن يميز بين الفلسفة الأولى والعلم الطبيعي الذي أطلق عليه اسم الفلسفة الثانية لأنها تبحث في العلة الأولى وسماها بالعلم الإلهي ليثبت أن الله هو الموجود الأول والعلة الأولى لوجود العالم.

وحاول أن يدرس الموجودات من حيث كونها موجودة لا من حيث اتصافها بصفات أخرى معينة وحاول أن يفسر العالم من الوجود بالقوة، والوجود بالفعل، وإثبات أن الله هو المحرك الأول الذي يسعى إليه ويتوجه نحوه كل موجود بما في ذلك العالم كان وجوده خارج عن العالم المستقل عن نظامه كله أما تأثيره في العالم فيكون باعتباره موضوع شوق العالم به لأن الله ضرورة العالم.

وهذا ما سوف نحاول بحثه مع أرسطو في تفسير أصل العالم.
وسوف نحاول في هذا البحث أن نطرح بعض التساؤلات أهمها:

س1- كيف فسر أرسطو وجود العالم؟

س2- هل للحركة والعلة دور في العالم؟

س3- ما تأثير الزمان والمكان في الوجود؟

س4- ما علاقة النفس بالعالم؟

إن أهمية هذا البحث تكمن في تقصى أسرار الكون وتفاصيله واستقصاء القوانين التي تحكم هذا العالم وكيف بحث أرسطو في تشكيل هذا الوجود.
الهدف من البحث هو إبراز دور أرسطو في تحرير الفكر اليوناني من سلطان الخرافات إلى عامل التطور والازدهار من خلال النظرة العقلية لتفسير العالم والبحث والدراسة لمعرفة المبدأ الأول الرئيسي الذي صدر منه الوجود بأكمله.

قسم هذا البحث إلى ثلاث مباحث:

1- المبحث الأول: الحركة والعلم في أصل الكون.

2- المبحث الثاني: المكان والزمان في أصل العالم.

3- المبحث الثالث: النفس وعلاقتها بالعالم.

أما المنهج المتبع في هذا البحث المنهج التحليلي أما الخاتمة سوف نستعرض فيها أهم النتائج.

أصل العالم

تمهيد:

فقد عدّ أرسطو العالم الحسى عالم حقيقي واقعي موجوداً، أما عالم المثل عند أستاذه مفارق لمادته، فليس سوى ماهيات ذهنية لا وجود لها في العالم الخارجي، فالأجسام الطبيعية بوصفها مادة وصورة تكون صورتها ملازمة للمادة وليس مفارقة لها.
إن العالم عند أرسطو موجوداً منذ الأزل وليس مخلوقاً - كما أدعى أفلاطون - من قبل الصانع ومادة قديمة ومثل، ويكمن مبدأ العالم بكليته في مفهوم الحركة، والتمييز بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل الذي يفسر الكيفية التي تحدث التغييرات من الإمكان إلى الفعل بواسطة قوة أو حركة موجودة بالفعل وإلا ستعدم الحركة.

يُميز أرسطو بين نوعين من الكائنات من جهة حركتها فهناك الكائنات الأزلية وهي تتصف بأنها موجودة بالفعل دائماً، وهناك كائنات تتصف بالقوة مرة وبالفعل مرة أخرى، وهي الكائنات الحادثة، وهذه الكائنات تستمد حركتها من كائنات حادثة أخرى (وهذا المحرك أما أن يستمد حركته من محرك آخر، فيكون محركاً يتحرك، وإما يستمدها من محرك آخر لا يتحرك)⁽¹⁾، وهو مبدأ الموجودات ويقول أرسطو أنه "علة الحركة الأزلية والواحدة، ولما كان لكل متحرك محرك يحركه ضرورة، وكان المحرك الأول غير متحرك بالذات، ويجب أن تكون كل هذه الحركات المكانية ناجمة عن جوهر غير متحرك وأزلي"⁽²⁾، إذ سيكون هذا الجوهر مبدءاً للعالم وعلة لوجوده.

وإن الله أو المحرك الذي لا يتحرك لم يخلق العالم بل يحركه حركة كلية، وإن هذا المحرك يحرك العالم كما يحرك المعشوق العاشق بواسطة الانجذاب له وليس بالقوة، وهو علة غايته ولا يفكر إلا بذاته إن إله أرسطو موجود في العالم جاعلاً من العالم نظاماً معقولاً وهذه هي الصفة الأرسطية لمبدأ العالم وسوف نتطرق إلى الحركة والعلة عنده بالتفصيل الآتي:

مجلة دراسات الإنسان و المجتمع
Human and Community Studies Journal

المبحث الأول / الحركة والعلة في أصل العالم:

فالحركة شيء ثابت ضروري لقيام العالم، هذا وتقع الحركة عند أرسطو في أربع مقولات مقولة "الجوهر والكم والكيف والمكان" فالحركة من حيث مقولة الجوهر هي حركة التغيير، أو حركة الكون والفساد، ومن حيث مقولة الكم هي حركة الزيادة والنقصان، وهي من حيث الكيف حركة الاستحالة، أما من حيث المكان هي حركة النقلة⁽³⁾، والفرق بين حركة الكون والفساد وحركة الاستحالة أن حركة الكون والفساد يتعلق بالصفات الذاتية للشيء، ففيها يحل موجود محل آخر، أي أن الحركة فيها إنما تتم بين نقيضين.

وأما حركة الاستحالة فلا تتعلق بالصفات الذاتية بل بالصفات العرضية: ففيها يحل عرض محل عرض آخر، فليست الحركة هنا بين نقيضين، بل بين أعراض لا يصل الاختلاف بينها إلى حد التناقض، هذا وتفترض الحركة عدة أشياء، فهي تفترض أولاً موضوعاً وطرفين وعلة، إذ لا بد للحركة من موضوع تقوم فيه وإلا امتنعت الحركة وأما

الطرفان فهما الاتجاه من والاتجاه إلى فالحركة تنتج من حال القابلية أو التهيؤ إلى حال التحقق أو الوقوع، وباصطلاح أرسطو من حال القوة إلى حال الفعل.

ومن هنا فالحركة عند أرسطو إنما هي استكمال لما هو بالقوة أو تحقيق له وهذا هو تعريفها العام عنده إذ يقول⁽⁴⁾، (كمال ما بالقوة بما هو كذلك - مثال ذلك: إن كمال المستحيل وهو يستحيل هو الاستحالة، وكمال النامي وتقيضه وهو المنتقض وليس لهما اسم واحد يعمهما جميعاً هو النمو والتتقض، وكمال المنكون والفاقد هو الكون والفساد، وكمال المنتقل: النقلة)⁽⁵⁾، يصبح تحقيق الشيء الموجود بالقوة هو الحركة فتحقق الشيء المتغير أو استكمالها من حيث هو متغير هو التغير وتحقيق القابل للزيادة والنقصان من حيث هو كذلك هو الزيادة والنقصان، وتحقيق القابل للكون والفساد هو الكون والفساد، والقابل للانتقال هو النقلة)⁽⁶⁾، وفي مجمل القول، فقد أكد أرسطو على ضرورة الحركة في أصل العالم بشكل عام، وبمنظورة الحركة شرط أساسي لقيام العالم الطبيعي.

وكذلك لا بد للحركة من علة سبباً لها، وإلا كانت ذاتها فالشيء لا يكون علة ذاته، وإلا كان علة ومعلولاً في آن واحد، وهو خلق⁽⁷⁾، ولتفسير العالم وتعليله قال أرسطو بأربع علل أساسية، هناك أربعة تساؤلات يطرحها عالم الطبيعة على نفسه ويسعى للإجابة عليها وهي ممّا يتكون هذا؟ وما شكله أو صورته؟ ومن أوجد هذا الشيء؟ وما الغرض من وجوده؟ والإجابة على هذه الأسئلة هي منظومة العلل الطبيعية عند أرسطو حيث يقال علة للشيء القائم الذي يخرج منه الشيء⁽⁸⁾، يقول أرسطو فقد ظهر أن الأسباب إنما هي هذه وهذا مبلغ عدتها، ولمّا كانت الأسباب أربعة، ومن حق صاحب العلم الطبيعي أن يعلم أمدها كلها، وأن يرد المسئلة إليها كلها، فيوفى، الجواب عنها على المذهب الطبيعي أعنى الهيولي والصورة والمحرك وما من أجله⁽⁹⁾.

لقد كان لمبحث العلة الدور البارز والمهم في تقصى أرسطو للمبدأ الأول للعالم، فالبحث في علة الشيء أو أصله هو البحث مبدأً وسبب حدوثه، وهذه العلة هي:

- العلة الهيولانية (المادية): هي التي منها يكون شيء وهو فيه مثل "النحاس" للصنم والفضة للخاتم وما أشبه ذلك من الأجناس، يكون النحاس هو العلة المادية للصنم، والعلة المادية هي الفضة، ونحن نسميها المادة، أو الجوهر الفيزيائي، ويسمى الشيء الذي يتكون من المكون، والمكون سبب للمنتكون⁽¹⁰⁾.

يعرف أرسطو الهيولى فيقول (فإني أعنى بقولي هيولي الموضوع الأول لشيء شيء الذي عنه يكون الشيء، وهو موجود فيه بطريق العرض)⁽¹¹⁾.

- **العلّة الصورية:** هي جوهر الشيء وماهيته، والماهية في تعريف الشيء لكن التعريف شرح المفهوم، تصبح العلة الصورية هي المفهوم كشكل التمثال وما هو عليه⁽¹²⁾.

والصورة عند أرسطو بناء معقول ينظم المادة الواقع أنّ أرسطو يؤكد أنّ صورة الأشياء جزئية فريدة لأنها تخص هذا المنزل وحده دون غيره، وفي ذات الوقت كلية لأنها مشتركة بين منازل عديدة باعتبارها منازل كانت الصورة عند أرسطو أزلية أبدية مثلها مثل المادة، فليست الصورة عنده مصنوعة فلا يوجد صانع لها؛ وكذلك المادة بل هي أبدية، وإن كانت تتغير من حال إلى أخرى تحت تأثير الصورة وتتنظم الصورة في الطبيعة درجات بحسب نظام تكون الصورة الأعلى هي التي تتضمن عدداً أكبر من الماهيات، يعنى أنه حين تكون علة ما أكثر عمومية من غيرها، فإنها تدخل في الصورة الأكبر تحديداً فصورة الحيوان تدخل في صورة الحصان كما تدخل في صورة الإنسان، لذلك تتسلسل الصور في نظام بحيث يكون بعضها مادة للبعض، أو يكون للمادة أكثر من صورة لكن لو كانت المادة والصورة أزليتين كيف نفسر عمليات النشوء والتطور والفناء فكانت إجابة أرسطو أن هذه الموجودات تستمد وجودها من عملية تشكل المادة، إلى الاتحاد الذي يكون بين المادة والصورة⁽¹³⁾.

إنّ فإنّ المادة والصورة هما القالب الذي يشغل كل كائن حي في هذا العالم الطبيعي، فكل جسم طبيعي مادة وصورة ومن اتحادهما تتشكل الأجسام الطبيعية في العالم.

- **العلّة الفاعلة:** أي علة الحركة، والطاقة المحركة لإحداث التغيير، والأب للابن والفاعل للمفعول، والمغير للمتغير⁽¹⁴⁾، والعلّة الفاعلة أو الفاعل هي ما به يصير الشيء ما هو، كالفنان الذي صنع التمثال⁽¹⁵⁾، فعلى الرغم من جوهرية المادة والصورة عند أرسطو إلا أنّهما أبعد ما يكون عن صياغة الحركة في الشيء لذا وجد أرسطو واجباً عليه أن يقول بعلّة ثالثة من العلة الكاملة الأساسية هي العلة المحركة أو الفاعلة لأن تجسيد الصورة في المادة لا بد أن يتم حتماً وفقاً لمبدأ خلاف فلا يرى الناس مادة الشيء

أو صورته، وإنما الشيء نفسه المجسدة الصورة فيه على المادة فلا يكون الخشب سريراً من نفسه بل لا بد له من أن يكون هناك النجار الذي يطبع صورة السرير على الخشب، وهذا المبدأ الفاعل موجود في الأشياء الطبيعية بشكل باطني، أما في الأشياء الصناعية فيوجد الصانع والمحرك الذي يؤثر فيها خارجياً. إنَّ الطريقة الثالثة التي نعبر بها عن العلة هي إنها المصدر الأول للحركة والسكون، فالأب علة الطفل في هذا المعنى كما يكون الطابع علة لما يصنع، إنها عموماً ذلك الذي يحدث التغيير فيما يتغير، وعندما يقول أرسطو أن العلة الفاعلة هي مصدر الحركة لا يعنى بالحركة هنا مجرد التغيير في المكان، بل يعنى التغيير من أي نوع فالعلة هي علة كل تغيير⁽¹⁶⁾.

- العلة الغائية: النهائية، أو الغاية المقصودة، أو الوجود المكتمل للشيء⁽¹⁷⁾، وهي ما من أجله الشيء، وهي هنا الغاية التي قصد إليها الفنان حين صنع التمثال⁽¹⁸⁾، نظر أرسطو إلى العالم نظرة غائية شاملة، ولم يستثن الإنسان نفسه من هذه الغاية حيث آمن بأنه كائن غائي يسعى في كل تصرفاته لبلوغ السعادة⁽¹⁹⁾.

ويدرس أرسطو الضرورة باتجاهين: الأول هل هي عن وضع؟ أمَّا الثاني فهل هي على إطلاق؟ ودراسته لها وفقاً لهذين الاتجاهين، مبنية على أساس عد القدمات الضرورية في التكون كضرورة الحائط تمكن في أن الأشياء الثقيلة إلى الأسفل، والخفيفة إلى الأعلى، لذا صارت الحجارة فهي الثقيلة إلى الأسفل، أساساً للحائط وأصبح التراب والطين فوقها لخفته يلوه الخشب لأنه أكثر خفة من التراب والطين⁽²⁰⁾، يقول أرسطو ما الذي يمنعنا من أننظر إلى الطبيعة وكأنها تفعل لا من أجل غاية على الإطلاق أو أنها لا تبحث عن أفضل الأشياء ولماذا لا نقول بأن الطبيعة تفعل على نحو ما يجعل الإله زيوس السماء بمطر لا لأن ينبت الزرع وإنما يفعل ذلك بالضرورة وذلك لأن تصاعد البخار ينبغي أن يتكاثف فإذا برد وصار ماء نزل، وعندما يحدث ذلك قد يعرض أن ينبت الزرع⁽²¹⁾.

المحرك الأول الذي لا يتحرك الله عند أرسطو، إن إيجاد أي شيء عند أرسطو لا بد فيه من مادة وصورة وحركة - كما رأينا - ثم حاول أرسطو إيجاد حل لمشكلة العلاقة بين المادة والصورة أو العقلي والحسي وحين عجز عن إيجاد منشأ لهذه العلاقة نشأت عنده فكرة الله المحرك الأول، فهي نتيجة لشيء اقتضته الضرورة العقلية والمذهب

الفلسفي عنده تم يرى أرسطو أن حركة المادة ناحية الصورة أو حركة أي شيء لا تحتوي على علة وجودها⁽²²⁾، لذا يجب أن نبحث عن علة لكل حركة يقول أرسطو لا ولما كان المتحرك إنما يتحرك بالضرورة عن شيء آخر وهكذا على هذا النحو، وإن كان فإن هذه السلسلة لا يمكن أن تمر بلا نهاية أو أن تتسلسل بدون غاية بل يجب أن تكون هناك علة أولى للحركة⁽²³⁾.

ولما كانت كل علة معلولة لما قبلها كان من المستحيل شرح الحركة أو حل مشكلتها عن طريق العلة، لذا يجب أن نبحث عن المحرك الأول الذي لا يتغير ولا يتحرك المنزه عن الزمان والمكان والضرورة، ولا ريب أن المحرك الأول المنزه عن ذلك هو محرك الحركات، وصورة الصور التي يتجه نحوها كل ما في الكون ودلل أرسطو على أن المحرك الأول لا يتحرك بدليلين الأول إنّه لو كان متحركاً لاحتاج إلى محرك يحركه، فحصل لا محالة التسلسل والسدور، فلا بد من الوقوف عند حد ما والاعتراف بانتهاء جميع المحركات إلى محرك غير متحرك يكون هو مبدأ الحركة الثاني: إن كل متحرك ناقص، لأن الحركة عبارة عن الانتقال من حال لغرض ما يقصده المتحرك وخير يشترك إليه لاستكمال ذاته⁽²⁴⁾.

فإن الله عند أرسطو ليس هو الله بالمعنى الديني الذي يؤمن به المتدينون، أي: ليس هو الإله الحي، كما أنّه بعيد عن سمات وخصائص التشخيص، والتجسيد والتشبيه وإنما هو المحرك الذي يحرك الأشياء ولا يتحرك، هو العقل الصافي المحض، هو صورة الصور، أي: هو صورة لكل صورة محتملة التحقيق على الوجود... ولما كان العقل عند أرسطو أكمل الصور فإن الله عنده عقل كامل، أي: لا يتغير ولا يتحرك، وإنما يحرك العالم بوصفه العلة الغائية له لا بوصفه العلة الفاعلة، أي: إن العالم يشترك دائماً إلى كماله، وبهذا الشوق الدائم يتحرك العالم نحو الله تحركاً متصلاً دائماً رغبة في تحقيق السعادة والبهجة، وعلى هذا فالمحرك الأول عند أرسطو ليس خالفاً أو مبدعاً للحركة، بل هو غاية كمالية لحركة المادة نحو الصورة، أي إن إله أرسطو لا يفعل شيئاً ولا يحكم، لا علاقة له بالعالم، ولا إرادة له في مجريات الأقدار لأنه لم يخلقه ولم يحركه، فهو منوط على نفسه، ليس إلهاً حقيقياً، يشبه قائداً وقف كالتمثال اعتزازاً بكرامته، وكان هناك سائر من خشب أخذت تحاكيه على قدر استطاعتها فنظمت جيشاً حقيقياً، فالإله عند

أرسطو مجرد فكرة لا شأن لها بالعالم ولا يدرك جزئياته، ولا يعتني به، ولا يعنى بتدبيره، فهو لا يعلم عن العالم شيئاً. وقد دلت أرسطو على وجود الواجب من ذات الممكن، وتصور الواجب لذاته في الذهن عنده يقتضى حتماً تصور الممكن، لأنه إذا أخذ الاكتفاء بالذات في مفهوم الواجب ينساب الذهن حتماً إلى تصور مقابل له لا يكتفى بذاته إلى مفترق إلى غيره، وذلك هو الممكن وقد ذهب أرسطو تماشياً مع مذهبه الطبيعي في شرح أصل العالم مبيناً صوراً احتياج الممكن، فجعل جمال الواجب أو الصورة المحضة يجذب الممكن أو المادة فتتحرك وتوسع نحوه، والعالم بناءً على هذا يسعى نحو الإله أو الواجب أو الصورة المحضة عشقاً لجماله وكماله⁽²⁵⁾.

وصفات المحرك الأول الله عند أرسطو كثيرة منها:

- أنه ثابت غير متحرك: لأنه لو تحرك لاحتاج إلى محرك آخر ويتسلسل الأمر وأيضاً كل متحرك ناقص، وليس هناك مرتبة حتى يتحرك إليها⁽²⁶⁾.
- إنه فعل محض صورة خالصة وفعل خاص لا يوجد به شيء من القوة يترتب على ذلك أيضاً ألا ينقسم وألا يتعدد⁽²⁷⁾.
- أنه أزلي يرى أرسطو أن الله أزلي، لأنه علة للحركة الأزلية، ومن المحال أن يكون علة الأزلي ليس أزلياً⁽²⁸⁾.
- أنه واحد، الإله عند أرسطو واحد من كل وجه، أي إن الله هو المصدر الوحيد لكل ما يتحقق في العالم من كمال، بفضل كماله الذي يجذب الطبيعة إليه⁽²⁹⁾.
- أنه بسيط الإله، كما يقول أرسطو بسيط لا أجزاء له، لأن التركيب يقتضى الإمكان والكثرة والتناهي⁽³⁰⁾.
- أنه عقل وعاقل ومعقول: أما كونه عقلاً فإنه صورة محضة مجردة عن المادة ولوازمها، وأما أنه عاقل فلأن ذاته بسيطة غير مركبة من أجزاء فلا تمايز فيها بين العاقل والمعقول، وأما أنه هو المعقول فلأن علمه الكامل يجب أن يتعلق بأكمل الأشياء وهو ذاته، فهو لا يعقل إلا ذاته، لأنه إن عقل غيره فقد عقل ما هو أنقص من ذاته وانحطت قيمة فعله⁽³¹⁾، وهذا التعقل الدائم يهبه أسمى أنواع السعادة فهو سعادة دائمة لا يصل إليها إلا أحياناً نادرة⁽³²⁾.

- أنه حي: يقول أرسطو والحياة أيضاً من صفات الله، فإن فعل العقل حياة والله هو ذلك الفعل، وفعله الصادر عن ذاته حياة فاضلة أزلية⁽³³⁾.
- أنه خير محض: وفي ذلك يقول أرسطو فالمحرك الأول إذن موجود بالضرورة وحيث إنه موجود بالضرورة فوجوده خير⁽³⁴⁾.
- أنه عاشق ومعشوق، يعشق ذاته وهي معشوقه له، وهو كذلك معشوق للعالم يتجه إليه كعلة وغاية⁽³⁵⁾، هذه هي صفات المحرك الأول أو العقل الإلهي⁽³⁶⁾، ومنه نستنتج أن المبدأ الأول للعالم الطبيعي في فلسفة أرسطو هو المحرك الأول الذي لا يتحرك ويتضح لنا ذلك جلياً في نص أرسطو من مقالة الأم حيث يقول "إن الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب، وإن لم تكن حيواناً إلا أنها ألهمت من سبب هو أكرم منها وأبهى في المطبوع: أو هي ألا في المطبوع إلى إن السبب هو الله"⁽³⁷⁾.
- وبذلك يكون أرسطو قد فسر أصل العالم والوجود حسب فلسفته التوفيقية إذا تكلمنا بلغة نظرية المعرفة، فهو مزج بين ما هو عقلي ميتافيزيقي وما هو مادي محسوس ليكون لنا تصوراً عاماً حول تكون الأجسام الطبيعية مرده إلى المادة الأولى أو الهيولى والصورة لينتهي إلى العلة الأولى لهذا الوجود مجسداً إياه في المحرك الأول الذي لا يتحرك، فهو قد بنى فلسفته الطبيعية وفق نسق منطقي منظم كلي ذو صبغة علمية عن طريق العلل، ومنه تكون معرفة تلك العلل والمبادئ تعنى معرفة ما به يكون الشيء أي معرفة جوهره، فمعرفة جوهر الشيء تعنى معرفته الحققة⁽³⁸⁾.

المبحث الثاني / المكان والزمان في أصل العالم :

إذا كانت الحركة تستلزم ما يتحرك أي المادة، وقد تحدثنا عنها، فإنها تستلزم أيضاً ما فيه يتحرك، أي المكان والمكان مفارق للجسم خارج عنه، فهو يحتوى الجسم دون أن يختلط به أو يكون جزءاً منه، فهو بالوعاء أشبهه، وتعريفه أن يقال: "أنه الحد اللامتحرك المباشر للحاوي"... وتتداخل الأمكنة بعضها في بعض، كل منها تحوى الآخر، حتى يصل إلى المكان العام الذي يحوى كل مكان ولا يحويه مكان: فالإنسان على الأرض، والأرض في الهواء، والهواء في السماء، والسماء تحوى الكون بأسره من غير أن يحويها شيء... وهكذا فالتسلسل في المكانية لا بد أن يقف عند حد أقصى هو مكان الأمكنة

جميعاً... وبعبارة أخرى أكثر إيجازاً، يفرق أرسطو بين نوعين من المكان: مكان خاص ومكان عام، وما ينطبق على أحدهما لا ينطبق على الآخر فالمكان الخاص أو المحل هو كل مكان يلزم من وجود الحاوي فيه ضرورة وجود شيء آخر يحوى هذا الحاوي، كالغرفة يحويها البيت والبيت يحويه الشارع. أمّا المكان العام أو المشترك فهو المكان الذي لا يلزم من وجود الحاوي فيه ضرورة وجود شيء يحوى هذا الحاوي، كالسماء تحوى كل شيء ولا يحويها شيء فهي حاوية لا محوية⁽³⁹⁾، وفي ذلك كله، يقول أرسطو (فالمكان أيضاً منه عام - وهو الذي فيه الأجسام كلها، ومنه خاص وهو أول ما فيه الشيء: وأعنى بقولي هذا مثل أنك الآن في السماء لأنك في الهواء، وأنت في السماء وفي الهواء لأنك في الأرض، وعلى هذا المثال أنت في الأرض لأنك في مكان كذا منها، وهو الذي يحويك وحدك لا أكثر منك فإن كان المكان هو أول حاو لكل واحد من الأجسام فإنه نهاية)⁽⁴⁰⁾.

وكما تستلزم الحركة المادة والمكان كذلك هي تستلزم الزمان⁽⁴¹⁾ يقول أرسطو "ولما كان كل ما يتحرك فإنما يتحرك في فترة من الزمان"⁽⁴²⁾، والزمان عنده يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بالحركة أو التغيير فنحن لا ندرك أن الزمان مر إلا حين ندرك تغييراً حدث ولكن الزمان ليس هو التغيير لأن هناك أنواعاً مختلفة وغير متناسبة من التغيير: تغيير المكان، تغيير اللون... الخ، أمّا الزمان، فإنه مشترك بين كل ألوان تلك العمليات كما أن الزمان ليس هو الحركة، لأن هناك درجات مختلفة من السرعة، ولكن مجرد واقع أننا نستطيع مقارنة هذه السرعات المختلفة مع بعضها البعض يتضمن أنه ليست هناك سرعات مختلفة من الزمان، فالزمان إذن ما به نقيس الحركة⁽⁴³⁾، وعلى الرغم من كون الزمان ليس الحركة عند أرسطو، لكنه لا يخلو من تغيير، فإن لم يحصل تغيير توهمنا أن أنفسنا ثابتة ولم يكن هناك زمان لكن عندما نحس بالتغيير قلنا أن هناك زماناً، عليه لا يخلو الزمان من الحركة⁽⁴⁴⁾.

يقول أرسطو عن الزمان: وإذا كان قصدنا أن الزمان ما هو فلنجعل أول ما نبتدئ به من ذلك في هذا الموضوع فننظر أي شيء للحركة، فإننا معاً نحس الحركة والزمان، وذلك أنا وإن كنا في ظلم ولم ينل أبداننا شيء أصلاً، إذ أنه حدث في أنفسنا ضرب من الحركة ظننا على المكان أنه قد حدث أيضاً زمان ما، وكذلك أيضاً متى ظننا أن زماناً

ما قد حدث، ظننا مع ذلك أن حركة ما قد حدثت، فيجب من ذلك أن يكون الزمان إما حركة إما شيئاً ما للحركة، وإذا لم يكن فواجب ضرورة أن يكون شيئاً ما للحركة⁽⁴⁵⁾. أما بالنسبة للكون عند أرسطو هو قيمة العالم الذي هو عالمنا عندما نقول أن نطلق عليه كلمة كون لابد أن لا يكون معنى هذه الكلمة مأخوذاً من النظام والتناسق الذي وضع فيه الكون، وهذا النظام والتناسق لابد أن يكونا مطابقين لهدف مبدع الكون⁽⁴⁶⁾. تعتمد حركة عمليات العالم على حركة متصلة، أنشأها في الكون ككل حضور محرك أول دائم لا يتغير، هو الإله - كما رأينا - وحيث أن الإله متشابه مع ذاته، فإن هذه الحركة الأولى، وهي أعم الحركات في الكون، ينبغي أن تكون هي الأخرى واحدية الشكل⁽⁴⁷⁾، فيما يتعلق بتحريكه للكون فينبغي ألا نفهم من ذلك أنه تحركه بحركة فيزيقية مادية، وإنما يحرك السماء الأولى أو سماء الثوابت بوصفه غاية لها ومعشوقاً وتحريكه لها تتحرك الأفلاك الأخرى التالية لها⁽⁴⁸⁾.

والكون في رأي أرسطو يتألف من مجموعة من الأفلاك المركزية المتداخلة التي يوجد بعضها في جوف بعض Spheres Concentriques يحرك الأعلى منها الأسفل ولا يفصل بينهما أي فراغ⁽⁴⁹⁾.

والفلك أشبه بكرة مشفة - شفاقة - لها قطبان يتصلان بقطب الفلك الذي تحته بحيث أن كل فلك يتحرك بما فوقه ويحرك ما تحته إلى أن تنتهي إلى آخر الأفلاك وأقربها إلى الأرض وهو فلك القمر وهكذا عندما يحرك المحرك الأول الفلك الخارجي يحرك بالتالي جميع الأفلاك المتصلة به⁽⁵⁰⁾، والأرض توجد في الفلك المركزي الذي تدور عليه سائر الأفلاك، وهي كرة ثابتة تقع في أسفل العالم، لأنها من تراب، والتراب ثقيل فمكانه الطبيعي هو الأسفل، والدليل على كرويتها ظلها المستدير على سطح القمر عند الخسوف، كما أن الدليل على ثباتها في مركزها وعدم دورانها لا على نفسها ولا حول غيرها، أن الحجر تقذف به إلى الأعلى فيعود إلى نفس المكان الذي قذف منه، فلو كانت تدور على غيرها لانتقلت من مكان إلى آخر في الكون ولشاهدنا اختلافاً في مواقع النجوم الثابتة من ليلة إلى أخرى⁽⁵¹⁾، وحيث أن أرسطو يبدأ من الاعتقاد بأن الأرض تقع في مركز الكون وأنها ساكنة لا تتحرك فيه كان من الضروري أن يفسر تبدل (النهار والليل) على أنه نتيجة لدورة الكون كله على محوره الذي يمر بمركز

الأرض، فالكون يحيط به ويجده فلك دائري محيط وعلى جانبه المنحني المقعد تقوم النجوم الثابتة، وهي بهذا تكون دائماً على نفس المسافة من الأرض، وهذا الفلك المحيط يدور حول محورة تحت التأثير المباشر للآله، المحرك الأول، مرة كل أربع وعشرين ساعة وهذه الفترة هي التي تتم فيها الدورة ثابتة وواحدة لا تزيد ولا تنقص⁽⁵²⁾، وتتحرك أيضاً حركة أخرى في دورة سنوية تتوالى بفضلها الفصول الأربعة وتحدث عند اقترابها أو ابتعادها عن الأرض نمو النباتات وتولد الحيوان أو فسادهما⁽⁵³⁾، وبلى الأرض فلك القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشتري فزحل يضاف إليها فلك الثوابت أما آخر الأفلاك أو أقصاها فهي السماء الأولى، ويسميتها العرب بالفلك المحيط وهو غلاف العالم ويتحرك عن المحرك الأول ويحرك ما بعده وأخيراً المحرك الأول أو المحرك الذي لا يتحرك أو الله ويقع على نجوم العالم⁽⁵⁴⁾، والعالم يمكن التمييز فيه بين ما سماه بعالم ما فوق فلك القمر وهو العالم ذو الحركة الدائرية المتصلة، وعالم ما تحت فلك القمر وهو عالم الكون والفساد⁽⁵⁵⁾.

فأما (عالم ما فوق القمر) فيتألف من الأجرام السماوية على اختلاف أنواعها وتختلف مادتها عن مادة الأجسام الفاسدة المتغيرة في عالمنا الأرضي، وهذه المادة هي الأثير أو العنصر الخامس، وهو عنصر سام شريف، يمتاز من العناصر الأربعة بأنه غير متغير وغير قابل للفساد ولا للزيادة والنقصان، ولا يقبل من بين جميع الحركات الممكنة غير الحركة الكاملة البسيطة الخالدة، أعنى الحركة الدائرية، بينما العناصر الأربعة أو مركباتها فاسدة متغيرة متحركة مستقيمة من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى بحسب ناموس الخفة والتقل، وهذا الجسم البسيط الأثير يمكن أن يتصف بالألوهية⁽⁵⁶⁾.

ولكن أرسطو لا يلبث أن يقدم فرضاً آخر لتفسير حركة الأفلاك المحرك الأول الواحد فيفترض أن للأفلاك السماوية عقولاً عددها إما خمسة وخمسين أو سبعة وأربعين عقلاً هي محركات هذه الأفلاك ثم يعود فيقرر أن حلم الكثيرة غير صالح ولذلك فلا بد أن يكون الحاكم واحداً⁽⁵⁷⁾.

وعلى أية حال، فإن مذهب الأفلاك الخمسة والخمسين لا ينبغي أن ينظر إليه إلا على أنه خيال رياضي مشروع، ووسيلة ملائمة لتحليل حركات الأجسام السماوية

الظاهرة التعقيد إلى مكونات دائرية... وأصل نظريته كان في مذاهب الأكاديمية الأفلاطونية⁽⁵⁸⁾.

أما من جهة المحرك الأول الذي لا يتحرك فقد ذهب أرسطو إلى ولعة قد فرق بين هذا المحرك الأول ومحركات الكواكب من جهة أن المحرك الأول غير متحرك أصلاً لا بالذات ولا بالعرض، وليس شأنه النفس تتحرك بالعرض حين تنتقل بانتقال الجسم الذي تحركه ثم أنه مفارق للعالم بينما تكون العقول الأخرى مرتبطة بأفلاكها ويكن ليس كاتصال الصورة بالهيولى، لأنها أيضاً عقول مفارقة ولكن لما كان أرسطو قد نص على أن المحرك الأول هو المنظم الوحيد لهذا العالم فيمكن أن نفترض أنه يحرك أيضاً هذه العقول كغاية لها أو كموضوع لعشقها⁽⁵⁹⁾.

وأما العالم الأسفل، عالم ما تحت فلك القمر؟ فهو عالمنا الأرضي، عالم العناصر الأربعة ودار الكون والفساد، أي عالم التكون والتفكك لأنه يتألف من أربعة عناصر وكيفيات متضادة، ينتج عنها أفعال متضادة، فهو عالم ناقص قوامه المادة، إذ المادة تتطوي على إمكانيات كثيرة، وهذه الإمكانيات تؤثر فيها دوافع لا حصر لها تجعلها تتجه أحياناً إلى عكس الطريق السليم، ومن هنا ما يرى فيه من سواد وأمراض ونقائص، خلافاً لعالم ما فوق فلك القمر، فإنه عالم خال من المادة القابلة، للممكنات، ولذلك لا نجد فيه إلا النظام والتمام والخير والحق والجمال وأول الموجودات في عالم الكون والفساد العناصر الماء والهواء والنار والتراب وهي تنجم عن الهيولى - المادة - عند اتحادها بكيفيتين من الكيفيات الأربع الرطب والبارد والحر والجاف⁽⁶⁰⁾، ويستدل أرسطو على وجود هذه العناصر الأربعة بطريقة أخرى أي بواسطة الاعتماد على حاسة اللمس، أي بالإحساس بالحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة، ويتكون كل عنصر من هذه العناصر الأربعة باتحاد كيفيتين من الكيفيات الأربع "البارد والحر" مثلاً تتكون من الحر والجفاف، والهواء الحر والرطب الماء البارد والرطب، الأرض البارد والجاف⁽⁶¹⁾، وهذه الكيفيات منها الفاعل ومنها المنفعل، يقول أرسطو وفي الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسها كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التي تنتج عنها يقتصرون في إيضاح كل شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية والفعل ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل،

لأن أولئك الذين يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين العناصر بعضها والبعض الآخر⁽⁶²⁾.

فالحار والبارد كقيمتان فاعلتان، أما الرطب والجاف فكيفيتان منفعتان. ومن هنا كان كل عنصر من العناصر الأربعة الأولية مشتملاً على جانب فاعل وجانب منفعل⁽⁶³⁾، ويفرق أرسطو في هذه الكيفيات التي تتركب منها العناصر الأولية بين كيفيات إيجابية وكيفية سلبية فالحار والبارد كيفيات إيجابية فعالة أما الرطب والجاف فكيفيات سلبية منفعة ومن هنا كان كل عنصر من العناصر الأربعة الأولية مشتملاً على جانب فعال إيجابي وجانب آخر سلبي وهذان الجانبان يسمحان بالتحويلات المستمرة بينهم فالعناصر الأولية لا يمكن أن تتحول إلى شيء آخر أبسط منها ولكن يمكن تحول بعضها إلى البعض الآخر لاختلاف تكوين كل منها، إذ يوجد في كل عنصر من هذه العناصر إحدى الكيفيتين الإيجابيتين وهما الحار والبارد وإحدى الكيفيتين السلبيتين وهما الرطب والجاف ويكون التحول بين العنصرين المشتركين في صفة واحدة بطريقة أسرع وأسهل عنه بين عنصرين مختلفين في جميع الصفات⁽⁶⁴⁾، وفي ذلك يقول أرسطو فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق إذ يقرر أنه إذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لا فعل ولا قابلية للفعل عن طريق التكافؤ وأن الحار مثلاً قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير إحداها في الأخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغيير وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الأجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين... فإن لا يلاحظ في الواقع إلا في الأجسام التابعة بعضها لبعض⁽⁶⁵⁾.

ومن هنا تكون العناصر الأربعة تحمل مفهوم المبدأ أو المادة الأولى للعالم، في فلسفة أرسطو الطبيعية.

فالنار والهواء لاشتراكهما في كيفية الحار لا يستدعي تحولهما إلا إذا تحول الجاف في النار إلى الرطب، وعند تحول الهواء إلى ماء يتغلب البارد على الحار ويبقى الرطب مشتركاً بينهما ثم يتحول إلى أرض يتغلب الجاف على الرطب ويبقى البارد مشتري وهكذا تتم التحولات بين العناصر في حركة دائرية. وقد تتم التحولات بين العناصر في

اتجاه عكسي بأن تتغير الكيفيتان في كل منهما مثل تحول النار إلى ماء ولكن مثل هذا التحول يتطلب وقتاً أطول⁽⁶⁶⁾، ولما كانت الهيولى هي العامل المشترك بين هذه العناصر جميعاً صح أن تتعاقب عليها الأضداد بتأثير الكيفية الفاعلة في الكيفية المنفعلة وأمكن للعناصر أن تتحول بعضها إلى بعض، لا بمحض الصدفة بل تبعا لنظام ثابت لا يتغير⁽⁶⁷⁾.

وتختلف حركة التحول أو الاستحالة عن حركة النمو في الكائنات الطبيعية لأن في النمو إضافة عنصر جديد إلى عنصر ثابت يشترك معه في طبيعته، ويختلف تحول العناصر عن حركة التغير في الكيف لأنها تقتضي بقاء جوهر ثابت تتعاقب عليه الكيفيات⁽⁶⁸⁾ يقول أرسطو علينا أيضاً أن نتكلم على النمو وأن نقول فيما ذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص يلزم إذا أولاً أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به أن تغيروا يقع من موجود إلى موجود آخر، مثلاً من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة⁽⁶⁹⁾، فمن جملة هذه التساؤلات انطلق أرسطو في التفارقة بينها ثم يواصل أرسطو حديثه قائلاً "ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائماً تغاير أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال؟ أو أيضاً أليست طريقة التغير هي التي تختلف وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد وبصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان لزوماً ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالخير تغيروا مخالفاً لتغير الشيء الذي يتحرك في الأين لأن الشيء المتحرك في الأين تغير مكانه بكليتيه في حين أن الذي ينمو لا يتغير إلا كشيء ينزلق ويمتدوا الموضوع وهو باق في مكانه أجزاء وحدها تغير مكانها ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على نفسها لأن هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامي لشغل حيزاً أكثر فأكثر كما أن أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزاً أقل فأقل يرى حينئذ أن التغير في شيء ليولد وفي الذي يستحيل وفي الذي ينمو هو يختلف لا بالشيء الذي يقبل التغير وحسب بل أيضاً بالطريقة التي يحصل بها التغير"⁽⁷⁰⁾.

فحركة التحول مختلفة عن حركة النمو والاستحالة الكيفية، وهي تشبه حركة التوالد لأن الهواء الذي يتولد من النار إنما يعنى تحققه بالفعل بعد أن كان موجوداً فيها بالقوة ويتميز هذا التوالد في العناصر عن غيره من أنواع التوالد الأخرى بأنه يتم في شكل دائري يرجع إلى النقطة التي بدأ منها ثم يعود إلى حيث بدأ وهكذا باستمرار وعلّة الحركة في هذه العناصر هو مبدأ الطبيعة الموجود بها مباشرة وبالماهية⁽⁷¹⁾، وهذه العناصر طبقات غير مستقرة لما ينتابها من تغير واستحالة فلكل واحد منها فلكه الخاص. ولكل منها مكان طبيعي وحركة طبيعية إلى هذا المكان إن لم يعقه عائق النار تتجه إلى أعلى، والتراب إلى أسفل⁽⁷²⁾، ومنه تتكون كتلة الأرض، وبينهما الماء والهواء وهذه تتلامس وتتراكب طبقات بعضها فوق بعض، فأعلاها يلامس أسفل وبين القمر وهو أدنى الأفلاك العلوية وأدناها للآمس مركز العالم، غير أن هذه العناصر قد تتحرك حركة مضادة للطبيعة بفعل العنف والقسر، وذلك حين تتجه بتأثير محرك خارجي في عكس اتجاهها الطبيعي، كأن يتجه التراب إلى أعلى وتتم الحركة الطبيعية في الغالب إذا لم يعقها عائق، لأن مبدأ الحركة الطبيعية فيها أشبه بنزوع وقابلية للحركة نحو غاية معينة ومن هذه العناصر البسيطة التي لا يمكن أن تتحول إلى شيء آخر أبسط منها ولكن قد ينحول بعضها إلى البعض تتألف جميع الأجسام المركبة، سواء كانت أجساماً جامدة أو كائنات حية والفرق بينهما أن الكائنات الحية تتميز من الجوامد بعلّة يتم بها التغذية والنمو وتوليد المثل وغير ذلك⁽⁷³⁾.

والأشياء الطبيعية جميعها يلزم فيها نوعاً الوجود فهي موجودة بالفعل وتتطوي في الوقت نفسه على وجود بالقوة لأن تحول الوجود من القوة إلى الفعل يقتضى التلازم على شيء واحد وهو يحصل ما لم يعقه عائق فالبارد مثلاً يحتوى على الساخن بالقوة وينتقل إلى الفعل حين يتحول الهواء إلى نار ما لم يقف في طريق التحول عائق وكذلك فيما يتعلق بالخفيف والثقيل فالخفيف بالقوة مثل الماء يصير خفيفاً بالفعل مثل الهواء وينتجه إلى أعلى أو مكانه الطبيعي ما لم يعوقه عائق⁽⁷⁴⁾.

تلك هي معالم تفسير أرسطو للعالم الطبيعي، وقد استمر هذا التفسير لقرون طويلة من بعده خاصة بعد أن أيد بطليموس نظامه الفلكي المرتكز على أن الأرض في مركز الكون أو العالم، وكان الفلاسفة الرواقيون من أهم من ساعد على تدعيم آراء أرسطو من

الجانب الفلسفي فقد أخذوا عنه التفسير الغائي وحولوه بنزعتهم الدينية إلى نظرية في العناية الإلهية⁽⁷⁵⁾.

ونستخلص من ذلك إن الكائنات تستمد حركتها من المحرك الأول الذي كان علة وجود العالم وأصله.

المبحث الثالث / النفس وعلاقتها بالعالم:

إن علم النفس تابع للعلم الطبيعي بحسب أرسطو، بل هو الجزء الأشرف من العلم الطبيعي، فجميع الأفعال في الأجسام الحية متعلقة بالجسم وداخله في العلم الطبيعي، كما يقول لذلك كان من جملة العلوم الطبيعية⁽⁷⁶⁾، ولقد حدد أرسطو ظاهرة الحياة بوظائف التغذية والنمو والإحساس والحركة المكانية التلقائية، أما الموجودات الطبيعية الأخرى غير الحية وهي قابلة إلا لحركة طبيعية واحدة ولا يوقف هذه الحركة إلا القسير، وعلة الحركة في الكائنات الحية هي النفس التي تعد للجسم بمثابة الصورة من المادة⁽⁷⁷⁾.

فإذا أخذنا بهذا التحديد إمكاننا الآن أن نبين الصلة بين النفس والجسد بدقة فالصلة بينهما، وهي صلة المادة بالصورة أصلية جوهرية، إذا ارتفعت طبيعية الوجود أو العالم المركب لذلك استحال أن تفارق النفس الجسد⁽⁷⁸⁾.

إن مذهب أرسطو في النفس مذهب ثنائي - فهو يقول بوجود بدن ونفس فلم يكن مادياً كما كان الأقدمون ممن سبقوه، ولا مثالياً صرفاً كبعض الفلاسفة المحدثين، وتتضح هذه الثنائية في تعريفه للنفس بأنها "كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة"، فهناك إذن نفس وهناك بدن في آن واحد - وهي تفرقه تقوم على فكرته الخصبية التي تسود جماع فلسفته، وأعنى بها فكرة الهيولى والصورة فكما أنه ثنائي في تصوره للأشياء من حيث إن كل شيء يتألف من مادة وصورة، فهو كذلك ثنائي في مذهبه في النفس فالبدن هو بمنزلة المادة أو الهيولي، والنفس هي بمنزلة الصورة وهذه الثنائية نراها تتجلى في كل فلسفته - فليس عيباً أن نراها في علم النفس عنده، بل لعلها في فلسفته النفسية أولى منها في أقسام فلسفته الأخرى⁽⁷⁹⁾.

والنفس فضلاً عن هذا غاية الجسم الحي وهو آلة لها فهي على حد تعريفه كمال أول لجسم ما ذي خصائص معينة، لأن الأجسام تختلف باختلاف النفوس التي تناسبها

فالجسم في النبات غير الجسم في الحيوان غير الجسم الإنساني لأن النفس أنواعاً مختلفة⁽⁸⁰⁾، يقول أرسطو أن الحياة قد تقال على عدة معان: فهي قد تعنى القدرة على التفكير أو الإدراك أو الحركة أو السكون أو التغذي أو النمو أو الاضمحلال فإذا وقفنا على أي من هذه الخواص في كائن ما دعوناها حياً⁽⁸¹⁾.

- النفس البنائية أو الغذائية هي أبسط أنواع النفوس عند أرسطو لأنها موجودة في جميع الأحياء ووظائفها التغذي والنمو وتوليد المثل؛ وكل منها يسلم إلى ما بعده. فالتغذي يجعل الكائن الحي ينمو في اتجاه معين وسنة معينة حتى يصل إلى غايته الضرورية ويقوى على التماسك والقيام بالذات والتوليد يضمن استمرار النوع ومشاركة الفرد الفاني في الخلود والألوهية⁽⁸²⁾.

- النفس الحساسة أو الحيوانية ويليها الغازية في الحيوان دون النبات قوة الحس وهو شكل من أشكال الحركة أو الانفعال من خارج يرافقه تغير كيميائي في المحسن. أما موضوع الحس فهو المحسوسات، التي تجعل الحواس وهي حاسة بالقوة حاسة بالفعل، ويولد الحيوان، وملكة الحس مكتملة فيه، أما المحسوسات فنوعان المحسوسات الخاصة، وهي موضوعات كل من الحواس الخمس، والمحسوسات المشتركة التي تتركها حاستان أو أكثر كالحركة والسكون والعدد والشكل والحجم... الخ⁽⁸³⁾.

أما النفس الإنسانية أو الناطقة يختص بها الإنسان دون الحيوان، لأن الإنسان وحده يتميز بقوة النطق أو العقل، والعقل نظري وعملي، فهو من حيث يدرك الماهيات في نفسها يسمى عقلاً نظرياً، ومن حيث يحكم على الجزئيات بأنها خير فيقبل عليها أو شر فينفر منه يسمى عقلاً عملياً والعقل النظري يقال بالاشتراك على درجات مختلفة، فهناك العقل الهولاني - عقل بالقوة وهو صفحة بيضاء، وعقل بالملكة وهو عبارة عن عقل هولاني اكتسب معارف فأصبح بالفعل بعدما كان بالقوة وعقل فعال وهو العلة الفاعلة للإدراك ومبدأ الكمال، أي هو الذي يخرج المعقولات من الماديات - وهي موجودة فيه بالقوة⁽⁸⁴⁾.

ونستخلص من ذلك أن أرسطو رد العالم إلى الإله الصانع وهو التصور لم يسبق له مثل في الفكر الفلسفي اليوناني، حيث بلغ من النسقية والنظام مرتبة تتطابق مع ما نراه في واقع هذا العالم الطبيعي الذي نعيش بعض النظر عن ثغرات هذا التصور فالمهم إن

هذا الكون لا يمكن أن يكون من عمل مادة جامدة أو وليد التلقائية والصدفة، ويرجع ذلك إلى فكرة العقلي التأملي المبني على نسقية التفكير، فالعالم الطبيعي عنده يعود إلى عمل المحرك الذي لا يتحرك ويسير هذا العالم بغاية ونواميس منتظمة، وهذا هو سر أصل العالم عند أرسطو.

الخاتمة :

- 1- استطاع أرسطو أن يقدم خطاباً خاصاً عن مبدأ العالم أي الطريقة التي قدم بها تفسيراً للعالم هي النظر العقلي المجرد أي إخراج العالم من الفوضى إلى النظام بالعقل.
- 2- إن الوجود هو العلة الصانعة لهذا الكون.
- 3- إن العوامل الاقتصادية والسياسية والجغرافية الفكرية ساعدت الفلسفة اليونانية على التطور والانسجام فضلاً عن العقل الذي يعد المنظم الأساسي للفوضى العالم الطبيعي عند أرسطو يعود إلى عمل المحرك الأول الذي لا يتحرك ويسير هذا العالم بغاية ونواميس منتظمة.
- 4- قدم أرسطو تفصيلاً بالنظريات الميتافيزيقية، والتأمل في الفلك وعلم نظام الكون بالاستكشافات الكثيرة التي استفادت منها الحضارات التي أتت بعدهم، وفلسفة الطبيعة في الفكر اليوناني تمخضت من مرحلة إلى أخرى حتى وصلتنا الآن مبلورة في علم البيئة الذي استفاد كثيراً مما قدمه الفلاسفة اليونان وخاصة أرسطو.
- 5- مذهب أرسطو في النفس مذهب ثنائي يقول بوجود نفس وبدن ولم يكن مادياً كما كان عند الأقدمين ممن سبقوه.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- ماجد فخري، أرسطو طاليس، الأهلية للنشر، بيروت، ط2، 1986، ص115.
- 2- ماجد فخري، أرسطو طاليس، نفس المصدر السابق.

- 3- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، من بدايتها إلى المرحلة الهلنستية، ص274.
- 4- عبدالرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 5- أرسطو طاليس، الطبيعة، ج1، تر: إسحاق بن حنين، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الهيئة المصرية، القاهرة، ط2، 1984م، ص171.
- 6- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص210.
- 7- عبدالرحمن مرحبا: مرجع سبق ذكره، ص275.
- 8- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004، ص160-180.
- 9- أرسطو طاليس، الطبيعة، مصدر سبق ذكره، ص138.
- 10- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط، ص87.
- 11- أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص75.
- 12- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط، مرجع سبق ذكره، ص88.
- 13- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص195-197.
- 14- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط، مرجع سبق ذكره، ص88.
- 15- عبدالرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 16- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص201-202.
- 17- عبدالجليل كاظم الوالى، مرجع سبق ذكره، ص88.
- 18- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص271.
- 19- محمود مراد، دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص208.
- 20- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية، مرجع سبق ذكره، ص78.

- 21- أرسطو، السماع الطبيعي، تر: عبدالقادر قيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1998م، ص65.
- 22- أحمد السيد علي رمضان، الفلسفة اليونانية، عرض ونقد، دار الدراسات العلمية، السعودية، 2012م، ص242-243.
- 23- أرسطو: السماع الطبيعي، مصدر سبق ذكره، ص214.
- 24- أحمد السيد علي رمضان، مرجع سبق ذكره، ص243.
- 25- أحمد السيد علي رمضان، نفس المرجع السابق، ص245-246.
- 26- أحمد السيد علي رمضان، نفس المرجع السابق، ص247.
- 27- أميره حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، مصر، 1998م، ص274.
- 28- أحمد السيد علي رمضان، نفس المرجع السابق، ص246.
- 29- أحمد السيد علي رمضان، المرجع السابق، ص247.
- 30- أحمد السيد علي رمضان، نفس المرجع السابق، ص248.
- 31- أحمد السيد علي رمضان، نفس المرجع السابق، ص249.
- 32- أميره حلمي مطر، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 33- أحمد السيد رمضان، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص248.
- 34- أحمد السيد علي رمضان، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص249.
- 35- أحمد السيد علي رمضان، المرجع السابق، ص250.
- 36- أميره حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 37- أرسطو طاليس، مقالة اللام، نقلاً عن عبدالرحمن بدوي، أرسطو عند العرب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1978م، ص21.
- 38- د. مصطفى النشار، نظرية العلم الأرسطية، القاهرة، مصر، ط2، ص28.
- 39- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص276-277.
- 40- أرسطو: الطبيعة، مصدر سبق ذكره، ص284.
- 41- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص277.
- 42- أرسطو: السماع الطبيعي، مصدر سبق ذكره، ص215.

- 43- الفرد إدوارد تايلور، أرسطو، ترجمة، عزت قرى، دار الطليعة، بيروت، 1992، ص82.
- 44- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط، مرجع سبق ذكره، ص251.
- 45- أرسطو طاليس، الطبيعة، مصدر سبق ذكره، ص415.
- 46- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص279-278.
- 47- عبدالجليل كاظم الوالى، نقد أرسطو للفلسفة الطبيعية قبل سقراط، مرجع سبق ذكره، ص305.
- 48- الفريد إدوارد تايلور، ارسطو، مرجع سبق ذكره، ص82-83.
- 49- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 50- عبدالرحمن مرحبا، نفس المرجع السابق، ص279.
- 51- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص276.
- 52- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص279.
- 53- الفريد إدوارد تايلور، ارسطو، مرجع سبق ذكره، ص83-84.
- 54- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص275.
- 55- عبدالرحمن مرحبا، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص280.
- 56- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص313.
- 57- عبدالرحمن مرحبا، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص280.
- 58- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص313.
- 59- أميرة حلمي مطر، نفس المرجع السابق، ص275.
- 60- الفريد إدوارد تايلور، ارسطو، مرجع سبق ذكره، ص86.
- 61- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص276.
- 62- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص280-281.
- 63- أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص316.
- 64- أرسطو طاليس، الكون والفساد، تر: أحمد لطفي السيد، دار القومية للطباعة، مصر، ص131.

- 65- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 281.
- 66- أميرة حلمي، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 316-317.
- 67- ارسطو طاليس، الكون والفساد، مرجع سبق ذكره، ص 132.
- 68- اميرة حلمي مطر، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 318.
- 69- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 281.
- 70- اميرة حلمي مطر، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 318.
- 71- ارسطو طاليس، الكون والفساد، مرجع سبق ذكره، ص 118.
- 72- ارسطو طالس، الكون والفساد، مرجع سبق ذكره، ص 119.
- 73- اميرة حلمي، مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 317.
- 74- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 281.
- 75- اميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 318-319.
- 76- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 282.
- 77- اميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 321.
- 78- ماجد فخري، ارسطو طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 59-60.
- 79- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 282.
- 80- اميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 321.
- 81- ماجد فخري، ارسطو طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 63.
- 82- عبدالرحمن مرحبا، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 284-285.
- 83- ماجد فخري، ارسطو طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 66.
- 84- عبدالرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 285-286.